الفصل السادس

ما مستقبل الأسرة في ظل زواج المسيار؟

بعد هذا العرض السريع لأحكام الزواج والطلاق والخُلع وتعدد الزوجات، يبقى سؤال يطرح نفسه، هو:

ما مستقبل الأسرة في ظل زواج المسيار المفتقر إلى أحكام الزواج والطلاق والخُلع وتعدد الزوجات؟

للإجابة عن هذا السؤال إجابة موضوعية علمية فقهية لا بد لنا أن نتعرف على المفهوم الإسلامي للأسرة، وعلى وظيفة الأسرة ودورها ومهامها ومسؤوليات كل فرد فيها.

الأسرة

ما معنى الأسرة، أو ما تعريفها لغوياً، وعربياً وغربياً وإسلامياً؟

المعنيان اللغوي العربي والغربي

على المعنى اللغوي للأسرة يتوقف مفهومها، ويحدد علاقات أفرادها بعضهم ببعض، وهذا ما سيتضح لنا من توضيح المعنيين المذكوريْن:

المعنى العربي اللغوي للأسرة

تبين لنا معاجم اللغة العربية أنَّ الأسرة مشتقة في أصلها من الأسر، والأسر لغة يعني القيد، يُقال: أسره أسراً، وإساراً قيَّده، و"أسره" أخذه أسيراً، وقد يكون الأسر طبيعياً لا خلاص منه،

كما في حالة الخلق، حيث يوجد الإنسان أسيراً لمجموعات من الصفات الفسيولوجية كالطول والقِصر والبدانة والنَّحافة... إلخ[١].

وقد يكون القيد، أو الأسر صناعياً، أو مصطنعاً، كالأسر في الحروب، وقد يكون اختيارياً يرتضيه الإنسان لنفسه، ويسعى إليه؛ لأنَّه يعيش مهدداً من دونه، ومن هذا الأَسر الاختياري اشتقت الأسرة.

والأسرة أهل الإنسان وعشيرته، واشتقاق الأسرة من الأسر والقيد يوحي بالعبء الملقى على الإنسان، أي المسؤولية، فالأسرة في العربية إذن تعني المسؤولية.

المعنى الغربي للأسرة

بينما نجدها في اللغة الإنجليزية تقوم على المعايشة، فالأسرة في اللغة الإنجليزية / فاملي (Family)، وهي تعني مجموعة من الناس يعيشون تحت سقف واحد.

إذاً المفهوم الغربي للأسرة قائم على المعايشة، وبذلك يكون مفهوم الأسرة عندهم لا يقتصر على الأسرة البشرية، وإنَّما يمتد ليشمل كل جماعة يجمع بين أعضائها مثل هذا التعارف.

فالأسرة الغربية هي مجموعة الأعضاء الذين يضمهم منزل واحد من آباء وأطفال وخدم وحيوانات أليفة "كالقطط

---

(١) سهيلة زين العابدين حمّاد: بناء الأسرة المسلمة، ص ١٧، الدار السعودية للنشر، جدة – المملكة العربية السعودية.

والكلاب"، ولهذا نجد أنَّ القطط والكلاب في الأسر الغربية تجد من المكانة والاهتمام أكثر مما يجده الزوجان من بعضهما في بعض الأحيان، كما نجد أنَّ الارتباط في هذه الأسرة ارتباط مصلحة، فالفرد فيها مستعد لتغيير رباطه إذا ظهرت له مصلحة جديدة، أو تغيَّرت الظروف من حوله، فلا عواطف إنسانية وراء هذا الارتباط، وإنَّما مصالح مادية بحتة؛ إننا نجد أنَّ الآباء يتخلون عن إعالة أبنائهم وبناتهم، وهم في سن مبكرة، كما نجد الأبناء والبنات يتركون أسرهم إذا ما وجدوا هناك مصلحة مادية لهم في هذا الترك، وإن كانت الأسرة في اللغة الإنجليزية تقوم على المعايشة، فهي كذلك في الفرنسية، ولهذا فالظروف والأوضاع الأسرية متشابهة، وتكاد تكون واحدة في المجتمعات الغربية المشتقة الأسرة عندها من هذا المفهوم "مفهوم المعايشة"[1].

المفهوم الإسلامي للأسرة

لما كانت كلمة الأسرة مشتقة لغوياً من الأَسر والقيْد، ولَما كانت الأسرة من وجهة النظر الإسلامية ليست قيداً، أو عبئاً، وإنّما هي حتمية نفسية، فلقد أطلق الإسلام كلمة الأهل لتدل على الأسرة، والأهل في اللغة العربية مشتقة من الفعل (أَهِلَ) على وزن (رَضِيَ) بمعنى أنس أي استراح، وهدأ واطمأن، يُقال: آنسه مؤانسة، أي لاطفه وأزال وحشته، وبما أنَّ الراحة النفسية والسكينة والطمأنينة أمور لا تتحقق بالتمني، وإنّما تُنال بقدر ما

(١) المرجع السابق، ص ١٨، ١٩.

يبذل المرء في سبيلها من أعباء، وما يتحمله من أجلها من مسؤوليات، ومن هنا كانت الأهلية، أو الصلاحية، أو القدرة، فليس كل رجل قادر على أن يكون زوجاً، أو رب أسرة، فالزواج يتطلب مؤهلات جسدية ومادية ونفسية وعقلية وخُلقية لا يقدر عليها كل إنسان، وهكذا نجد أنَّ الإسلام قد غيَّر مسار مفهوم الأسرة، فجعله مسؤولية على الإنسان يقبل عليها رضاً وطواعية، باحثاً عن الراحة والسكينة والطمأنينة[1]، ويوضح لنا هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

ولا يكتمل مفهومنا للمنظور الإسلامي للأسرة إلا إذا فهمنا المعنى الطبيعي للأسرة، بمعنى أنَّ كل فرد من أفرادها يأخذ ويُعطي حسب فطرته التي فطره الله عليها، وليس حسب الضغوط الحياتية المفروضة عليه، وهذا يرجعنا إلى فهم طبيعة الرجل والمرأة والأطفال، وهم العناصر الثلاثة المكونة للأسرة، ولو رجعنا إلى طبيعتها نجدها إنسانية، ومعنى إنسانيتها وجود الإنسان في أعماقها، ولا يمكن فهم إنسانية الإنسان في مفهوم الحضارة الحديثة التي تقوم على حيوانية الإنسان، وليس إنسانية الإنسان، ولذا لا يمكن فهمها إلاَّ في ضوء الإسلام وحده، والإنسان في العقيدة الإسلامية يحتل منزلة عالية لا تعلو عليها سوى منزلة الله

(١) المرجع السابق: ص ١٩.

(٢) الروم: ٢١.

سبحانه وتعالى[١]، فلقد كرّمه الخالق جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[٢]، وحمّله أمانة الاستخلاف في الأرض، وميزه بالعقل، فوظيفته الأساسية في الحياة أن يعطي تقرباً لله، وليس استكراهاً، وهذا الفارق بين إنسانية الإنسان، وحيوانية الحيوان[٣].

فالأسرة الإسلامية هي الأسرة الإنسانية التي تقوم على العطاء، وليس على المصلحة، فالأب يعطي أمناً، والأم تعطي حناناً، والأبناء يعطون بسمة الرضا[٤].

وهذا العطاء هو الذي يحدد مسؤوليات أفراد الأسرة وعلاقاتهم تجاه بعضهم بعضاً، فالأب لكي يعطي أمناً عليه أن يكون أهلاً لتحمل مسؤوليتي الزوجية والأبوة، والأم عندما تعطي حباً وحناناً يجب أن تكون أهلاً لتحمل مسؤوليتي الزوجية والأمومة؛ حتى تكون قادرة على هذا العطاء، وليس كل إنسان قادراً على بذل هذا العطاء ما لم يكن مهيئاً له نفسياً واجتماعياً، والأبناء لا يستطيعون إعطاء بسمة الرضا ما لم يكونوا بحق راضين وقادرين على إعطاء هذه البسمة

(١) سهيلة زين العابدين حماد: بناء الأسرة المسلمة، ص ٢٠.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) سهيلة زين العابدين حماد: بناء الأسرة المسلمة، ص ٢٠.

(٤) المرجع السابق: ص ٢٠.

بصدق، والتعبير عن هذا الرضا يكون عن طريق قيامهم بما يلزمهم من واجبات تجاه والديهم[١].

من هنا نجد أنَّ زوج المسيار ليس مؤهلاً لتحمل مسؤوليتي الزوجية والأبوة، فهو غير قادر على العطاء أي أنَّ دوره في بناء الكيان الأسري – وهو دور أساسي في هذا البناء، ولا يكتمل إلاَّ به – قد تعطَّل، وسيكون عبء مسؤوليات الأسرة على الأم فقط، أي إباحة زواج المسيار أوجد لنا شكلاً غريباً للأسرة أوجدته العلاقات غير الشرعية السائدة في الغرب، التي تثمر إنجاب أطفال شرعيين، هو أسرة الوالد المنفرد القائمة مسؤولياتها على الأم فقط.

وفي المقابل، أي في مقابل تخلي الأب عن دوره ومهامه تجاه أولاده، فأولاد المسيار غير ملزمين بالبر بأبيهم ورعايته إن كبر في السن، ولم يجد من يرعاه؛ لأنَّه هو تخلى عن رعاية هؤلاء الأولاد في وقت كانوا في أمس الحاجة إلى رعايته وتربيته.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل أولاد المسيار سيكونون قادرين على إعطاء بسمة الرضا لأمهم التي تنازلت عن حقوقهم قبل أن يُخلقوا، وجعلتهم يُحرمون من رعاية أبيهم وحنانه وتوجيهه؟

---

(١) المرجع السابق: ص ٢١.

هل سيكونون قادرين على إعطاء أمهم بسمة الرضا والاحترام، وهم يرونها تمتهن نفسها، وتتنازل عن حقوقها؛ لتكون امرأة فراش فقط؟

وهل سيكونون قادرين على إعطاء بسمة الرضا لأبيهم، وهو الذي حرمهم من رعايته وحنانه عليهم؟

وهل سيكونون قادرين على إعطاء أبيهم بسمة الرضا، وهو يعطي كل الرعاية والاهتمام لإخوانهم الذين لا يعرفونهم، ومحرَّم عليهم رؤيتهم والالتقاء بهم؟

هل سيكونون قادرين على إعطاء بسمة الرضا لوالدهم، وقد حرمهم من جديهم وأعمامهم وعماتهم؟

وظيفة الأسرة

من هنا نجد أنَّ الأسرة هي الأساس في تكوين البناء الإنساني روحياً، وعقلياً، وعقدياً، وجسدياً، ووجدانياً وانفعالياً واجتماعياً؛ لذا نجد الإسلام قد حرص على هذا التكوين، ووضع أسسه في قوله ﷺ: «**تخيروا لنطفكم فإنَّ العرق دسَّاس**»[1]، وذلك ليضمن سلامة النسل من الأمراض الوراثية التي تنجب أولاداً معتوهين، ومعوقين.

وكما اهتم بسلامة النسل عقلاً وجسداً قبل مولده نجده بيَّن دور الأسرة في البناء الروحي والعقدي للإنسان بعد مولده في قوله ﷺ: «**ما**

(١) رواه ابن ماجه في سننه برقم ١٩٦٨.

من مولود إلاَّ يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسُّون فيها من جدعاء»[١].

والإسلام دين الفطرة يوضح هذا قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

ولم تتوقف وظائف الأسرة في الإسلام عند هذا الحد، بل نجده رسم لنا أسس هذه التربية وقواعدها في البناء الإنساني الجسدي والروحي والعقلي والنفسي والاجتماعي والانفعالي والوجداني.

التربية الروحية

التربية الروحية من أهم جوانب التربية التي تؤثر في شخصية الفرد تأثيراً كبيراً فتجعله ميالاً للخير، متحلياً بالصفات الحميدة، ملتزماً في سلوكه وتصرفاته التزاماً ذاتياً مستمراً بالخُلُق الكريم، عاملاً على مساعدة الآخرين، محباً للتعاون، ذا نفس مطمئنة ومتفائلة يقبل على الحياة بروح إيجابية، وعزيمة متوقدة، لا يعجز إن اعترضت طريقه العقبات والعراقيل في محاولاته

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (١٣٥٨) ومسلم حديث رقم (٢٦٥٨).

(٢) الروم: ٣٠.

المستمرة لتخطيها، مستعيناً بالله -عزَّ وجل- الذي يؤمن به، ويلجأ إليه في السراء والضراء والشدائد، ويثق في عونه وتوفيقه[١].

مفهوم التربية الروحية

يقصد بمفهوم التربية الروحية ترسيخ حب الله في قلوبهم حباً يجعلهم يحرصون على إرضائه في كل أقوالهم وأعمالهم، وسلوكياتهم، وتصرفاتهم، والاجتناب عن كل ما يغضبه، فالإنسان إذا أحب إنساناً يسعى لإرضائه، وعدم إغضابه، فما بالك إن كان الحبيب هو الله الخالق جل شأنه؟

فعندما "تتم تربية الناشئين تربية روحية متكاملة تصفو أرواحهم، وتزكو نفوسهم، وتستنير عقولهم، وتستقيم أخلاقهم، وتتطهر أبدانهم، وذلك لارتباطهم الوثيق بربهم -عزَّ وجل- الذي يراقبونه في كل حركاتهم وسكناتهم، ويشعرون بأنَّه معهم في كل وقت، وفي كل مكان، فإن لم يكونوا يرونه فإنَّه يراهم، فيخافونه، ويرجونه، ويرهبونه، ويطمعون في كرمه، ويتوكلون عليه، ويحسنون الظن به، ويثقون في عونه وهدايته وتوفيقه"[٢].

وبذلك يتبيَّن لنا أنَّ مفهوم التربية الروحية الصحيحة مستمد من الإيمان والعمل، والعقيدة والأخلاق، والموازنة بين مطالب الدنيا والآخرة بلا إفراط ولا تفريط. فالتربية الروحية السليمة هي التي

---

(١) د. عبد الحميد الصيد الزناتي: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص ٣٢٦.

(٢) المرجع السابق: ص ٣٢٦، ٣٢٧.

ترسم المعيار الصحيح لتنمية مختلف جوانب الشخصية الإنسانية تنمية شمولية، فهي مصدر هداية العقل، بالإيمان بالله – عزَّ وجل– وتوحيده، وصفاء النفس بسكينتها وطمأنينتها، وتزكية الأخلاق بالتحلي بالفضائل والقيم والمثل العليا، وطهارة الأبدان باستعمال أعضائها وجوارحها في حقها وصونها من المعاصي والفواحش، وتسخيرها للعبادة وأعمال الخير النافعة للفرد والجماعة، وحسن العلاقة الاجتماعية مع الآخرين بالتكافل والتآزر والتعاون على البر والتقوى.

والقرآن الكريم أعطى للتربية الروحية مفهومها الصحيح، وأضفى عليها كل عناصر الكمال والجلال التي تجعلها صالحة لتكوين المؤمن الكامل روحياً وعقلياً ودينياً وخلقياً واجتماعياً ودينياً في الدنيا والآخرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

(١) المؤمنون: ١–١١.

وما لم تكن تربية الإنسان الروحية تربية قويةً راسخة الدعائم ثابتة الأركان، وكانت أخلاقه وتصرفاته ومواقفه واتجاهاته انعكاساً صادقاً لإيمانه القوي بالله -عزَّ وجل- لما استطاع أن يتبع سبيل الجنة المحفوف بالمكاره والشدائد، وتجنب سبيل النار المحفوف بالشهوات واللذائذ، فعن أبي هريرة ﷺ عن الرسول ﷺ، قال: «**حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره**»[(١)].

وبذلك تكون التربية الروحية حقاً عماد التنشئة المتكاملة، وبدونها لا يستقيم بناء الشخصية الإنسانية التي تصبح معرَّضة في كل وقت للخلل والاضطراب نتيجة لأبسط الهزات، وأهون الأزمات[(٢)].

تأصيل مفاهيم التربية الروحية

لقد حرصت السنة النبوية على تأصيل مفاهيم التربية الروحية، وترسيخ دعائمها في النفوس بعدة وسائل، منها:

١. تلقين الناشئ، منذ طفولته المبكرة مبادئ دينه الحنيف، وتمرينه على العبادات لكي ترسخ نفسه، ويلتزم بأدائها التزاماً ذاتياً طيلة حياته، رغبة ومحبة. قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في**

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٤٨٧)، ومسلم حديث رقم (٢٨٢٢).

(٢) د. عبد الحميد الزناتي: مرجع سابق، ص ٣٢٨.

المضاجع»[١]، وتنبيههم أن تكون الصلاة بخشوع وعبادة، وليس مجرد أدائها كعادة، لأنَّ الصلاة الصادقة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أمَّا الذي يؤديها كعادة، أو رياء، فلن يكون لها ذاك الأثر الذي يحصِّن عن ارتكاب الفواحش والمنكرات، وكذلك تعويد الناشئ منذ صغره على ممارسة أعمال الخير والبر والإحسان بما يقوي فيه روح التعاون والإيثار والتكافل الاجتماعي، ويجعله عضواً صالحاً في الجماعة[٢]. عن أبي موسى عن النبي ﷺ، قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»[٣]، ثُمَّ شبك بين أصابعه.

٢. غرس الفضائل والقيم والمثل الأخلاقية في نفوس النَّاشئين، وإبراز آثارها الإيجابية في حياة الفرد والجماعة، وإظهار مساوئ الرذائل وسفاسف الأخلاق، والحث على تجنبها؛ لآثارها السلبية السيئة على الفرد والمجتمع[٤]. فعن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**إنَّ الصدق يهدي إلى البر، وإنَّ البر يهدي إلى الجنة، وإنَّ الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور**

---

(١) أخرجه أبو داود رقم الحديث (٤٩٥) وحسَّنه الألباني بصحيح الجامع رقم الحديث (٥٨٦٨).

(٢) د. عبد الحميد الزناتي: مرجع سابق، ص ٣٢٨، ٣٢٩.

(٣) أخرجه البخاري، حديث رقم (٢٤٤٦) ومسلم، حديث رقم (٢٥٨٥).

(٤) د. عبد الحميد الزناتي: مرجع سابق، ص ٣٢٨.

يهدي إلى النَّار، وإنَّ الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذَّاباً»[١]، فالكذب من أقبح الظواهر في نظر الإسلام، وواجب المربين جميعهم، ولا سيما الأبوين أن يعيروها جُلَّ اهتمامهم، وأن يركزوا عليها جهودهم؛ ليقلع الأولاد عنها، وينفروا منها، ويتجنبوا مزالق الكذب، وقبائح النفاق، ويكفي الكذب تشنيعاً وتقبيحاً أن عدَّه الإسلام من خصائل النفاق: روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أنّ النبي ﷺ قال: «**أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[٢]، ويكفيه تشنيعاً وتقبيحاً أيضاً أنَّ من يزاوله يكون في سخط الله وعذابه: روى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك كذَّاب، وعائل مستكبر**»[٣]، لهذا كله نرى المربي الأول والمرشد محمداً ﷺ قد حذَّر الأولياء والمربين من الكذب أمام أطفالهم، ولو بقصد الإلهاء والترغيب، أو الممازحة حتى لا تكتب عليهم عند الله

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم (٦٠٩٤) ومسلم، حديث رقم (٢٦٠٧).

(٢)أخرجه البخاري، حديث رقم (٣٤) ومسلم، حديث رقم (٥٨).

(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم (١٠٧).

كذبة... روى أبو داود والبيهقي عن عبد الله بن عامر ﷺ قال: دعتني أمي، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: **ما أردت أن تعطيه؟** قالت: أردتُ أن أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أما إنَّك لو لم تُعطيه شيئاً كُتبت عليك كَذِبة**»[1]، كما ينبغي غرس فضيلة الأمانة ونبذ رذيلتي الخيانة والسرقة من نفوس الناشئين، فظاهرة السرقة لا تقل خطراً عن ظاهرة الكذب، وهي متفشية في البيئات المتخلفة التي لم تتخلق بأخلاق الإسلام، ولم تتربَّ على مبادئ التربية والإيمان، فمن البدهيات أنَّ الطفل منذ نشأته إن لم يُنشأ على مراقبة الله والخشية منه، وإن لم يتعود على الأمانة وأداء الحقوق... فإنَّه – لا شك – سيدرج على الغش والسرقة والقتل والخيانة، وأكل الأموال بغير حق، بل يكون شقياً مجرماً يستجير منه المجتمع، ويستعيذ من سوء فعله النَّاس.. لهذا كان لزاماً على الآباء والمربين أن يغرسوا في نفوس أبنائهم عقيدة المراقبة لله، والخشية منه، ويعرفوهم بالنتائج الوخيمة التي تنجم عن السرقة وتستفحل بسبب الغش والخيانة، وأن يبصروهم بما أعدَّ الله للمجرمين المنحرفين من مصير فاضح، وعذاب أليم يوم القيامة.

---

(١) أخرجه أبو داود، حديث رقم (٤٩٩١) وحسّنه الألباني، حديث رقم (١٣١٩)، المرجع السابق: ص ١٣٨.

ومن المؤلم أنَّ كثيراً من الأمهات والآباء لم يراقبوا أولادهم مراقبة تامة فيما يرونه معهم من أمتعة وأشياء ونقود، فبمجرد أن يدعي الأولاد أنَّهم التقطوها من الشارع، أو أهداها لهم أحد الرفقاء صدَّقوهم دون أن يكلِّفوا أنفسهم مهمة التحقيق والتدقيق، ومن الطبيعي أن يبرر الولد سرقته مثل هذه الادعاءات الباطلة، مخافة الاتهام والفضيحة، ومن الطبيعي أن يتمادى الولد في الإجرام حين لم يجد من مربيه البحث الدقيق، والاهتمام البالغ... والأقبح من ذلك أن يجد الولد من أحد أبويه من يدفعه إلى السرقة، ويشجعه عليها.. فإنَّ الولد — لا شك — سيكون عريقاً في الإجرام، متمادياً في الانحراف واللصوصية، فقد حكمت إحدى المحاكم الشرعية على سارق بعقوبة القطع، فلما جاء وقت التنفيذ، قال لهم بأعلى صوته: قبل أن تقطعوا يدي اقطعوا لسان أمي، فقد سرقتُ أوَّل مرة في حياتي بيضة من جيراننا فلم تؤنبني، ولم تطلب مني إرجاعها إلى الجيران، بل زغردت وقالت: الحمد لله، لقد أصبح ابني رجلاً، فلولا لسان أمي الذي زغرد للجريمة لما كنتُ في المجتمع سارقاً. والسرقة لا تقتصر على سرقة الأموال والأشياء، فهي تمتد إلى سرقة الأعراض باغتصابها، وانتهاك حرماتها، وسرقة الأرواح والأنفس بقتلها.

٣. التأكيد على أنَّ الوالد أو المربي أو الدَّاعي أو المرشد، لا بد وأن يكون قدوة صالحة للناشئين، وتجسيداً لأقواله وأفعاله، ويعكس سلوكه نصائحه، وذلك من خلال

التزامه الشخصي التام بتطبيق الفضائل والخلال الحميدة، والصفات الصالحة التي يدعو إليها الناشئين ويوجههم إلى اكتسابها، والتحلي بها، وقد كان رسول الله ﷺ أسوة حسنة في جميع أقواله وأفعاله للمسلمين كافة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1]، فمن الفضائل التي ينبغي غرسها في نفوس الناشئة الكلمة الطيبة وحسن القول، ونبذ السباب والشتائم، فظاهرة السباب والشتائم من أقبح الظواهر المتفشية في محيط الأولاد، والمنتشرة في البيئات المتخلفة عن هدي القرآن، وتربية الإسلام.. والسبب في ذلك يعود إلى أمرين أساسيين:

الأول: القدوة السيئة: فالولد حينما يسمع من أبويه كلمات الفحش والسباب، وألفاظ الشتيمة والمنكر... فإنَّ الولد – لاشك – سيحاكي كلماتهما، ويتعود ترديد ألفاظهما، فلا يصدر منه في النهاية إلاَّ كلام فاحش، ولا يتلفظ إلاَّ بمنكر القول وزوره.

الثاني: قرناء السوء: فالولد الذي يُلقى للشارع، ويُترك لقرناء السوء، وربما رفقاء الفساد. من البدهي أن يتلقن منهم لغة اللعن والسباب والشتيمة، ومن الطبيعي أن يكتسب منهم أحطَّ الألفاظ، وأقبح العادات والأخلاق،

(١) الأحزاب: ٢١.

وينشأ على أسوأ ما يكون من التربية الفاسدة، والخلق الأثيم. لهذا كله وجب على الآباء والأمهات والمربين جميعاً... أن يُعطوا للأولاد القدوة الصالحة في حسن الخطاب، وتهذيب اللسان، وجمال اللفظ والتعبير.

٤. توجيه الناشئين إلى حسن اختيار أصدقائهم ورفقائهم ممن يتحلون بالأخلاق الفاضلة والسلوك القويم، وذلك لتأثرهم بهم ومحاكاتهم لسلوكهم وتقليدهم لتصرفاتهم، وهو ما يؤثر في تكوينهم الروحي والخلقي سلباً أو إيجاباً[١]، كما يجب تجنيبهم لعب الشَّارع، وصحبة الأشرار، وقرناء السوء؛ حتى لا يتأثروا من انحرافهم، ويكتسبوا من عاداتهم.. ويجب عليهم كذلك أن يُبصروهم مغَبَّة آفات اللسان، ونتيجة البذاءة في تحطيم الشخصية، وسقوط المهابة، وإثارة البغضاء، والأحقاد بين أفراد المجتمع[٢]. عن أبي هريرة ﷺ: أنَّ النبيﷺ، قال: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[٣].

٥. معاملة الناشئين باللين والرفق واتباع أسلوب التيسير والتبشير، ومجانبة الشدة والعنف، والبعد عن أسلوب

---

(١) د. عبد الحميد الزناتي: ص ٣٣٠.

(٢) د. علوان، مرجع سابق، ص ١٤١، ١٤٢.

(٣) أخرجه أبو داود، حديث رقم (٤٨٣٣).

التعسير والتنفير والتضييق، وتحريم ما حلله الله؛ حتى تسكن نفوسهم، وتطمئن، ويتشربوا القيم الروحية، والمثل والمبادئ والفضائل الأخلاقية بسهولة ويسر[١]. عن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «**يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا**»[٢]، وعن عائشة – رضي الله عنها– عن النبي ﷺ، قال: «**إنَّ الرفق لا يكون في شيء إلاَّ زانه، ولا ينزع من شيء إلاَّ شانه**»[٣].

٦. مراعاة المستوى العقلي للناشئين، ومدى اتساع فهمهم واستيعابهم لأسس التربية الروحية، والتركيز أساساً على تشربهم وامتصاصهم للقيم والمبادئ الروحية منذ فجر طفولتهم الأولى عن طريق المحاكاة والتقليد والإيحاء. وعندما يتكامل نضجهم العقلي، وقدرتهم على التفكير المجرد والاستنباط والتحليل يتم تزويدهم بالمعارف والمعلومات المناسبة لنموهم العقلي، والبراهين والأدلة والحجج العقلية والمنطقية المقنعة لهم، مع مراعاة تجنب التعنيف واللوم والضيق من الأسئلة المتكررة التي قد يُبديها الناشئون؛ حباً في الاستطلاع، وإشباع الفضول عن وجود الله –عزَّ وجل– وعن الحياة

(١) د. عبد الحميد الزناتي: مرجع سابق، ص ٣٣١.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم (٦١٢٥)

(٣) أخرجه مسلم، حديث رقم (٢٥٩٤).

والموت والبعث، وظواهر الكون المختلفة، وغيرها من القضايا، بشرط أن تكون إجابتهم عن هذه الأسئلة في حدود فهمهم واستيعابهم ومستواهم العقلي والتحصيلي[١]. عملاً بقول النبي ﷺ: «**أمرنا أن نُكلِّم النَّاس على قدر عقولهم**»[٢]، وعملاً بقوله ﷺ: «**علِّموا ولا تُعنِّفوا، فإنَّ المعلم خير من المُعنِّف**»[٣].

التربية الأخلاقية

إنَّ من أهم أهداف التربية الإسلامية التي تسعى إلى تحقيقها، هو الهدف الأخلاقي، فالهدف من الإسلام إتمام مكارم الأخلاق، وقد قالها ﷺ: «**إنَّما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق**»[٤]، ونبي الإسلام على خلق عظيم، هكذا وصفه الخالق جلَّ شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥]، ويدخل في نطاق الأخلاق: كل سلوك إرادي صادر من إنسان راشد، ولذا فهدفها هو تنمية السلوك الأخلاقي على أساس شموله لما ينظم علاقة الفرد بنفسه أو بالنَّاس أفراداً وجماعات، أو بالكون، أو بالخالق، طبقاً لما جاء به القرآن الكريم، وتهدف من

---

(١) د. عبد الحميد الزناتي: مرجع سابق، ص ٣٣١.

(٢) رواه الديلمي عن ابن عباس: المنتقى، كنز العمال.

(٣) كنز العمال، لأبي عدي في الكامل، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) صححه الألباني، حديث رقم (٢٣٤٩).

(٥) القلم: ٤.

ذلك إلى سعادة الإنسان عن طريق إرضاء الله، بحيث تصبح الأخلاق هي ذلك النشاط الذي يربط بين تعاليم القرآن، وبين الإنسان، فرداً وجماعة، بحيث تتحول هذه التعاليم إلى حياة يومية تمارس[١].

ومادامت الأخلاق القرآنية تتخلل كل نواحي الحياة، فالنظام التربوي الإسلامي يجب أن تربطه أخلاقيات بالمجتمع المسلم الذي يعيش فيه، وتربط بين مؤسساته وأنظمته المختلفة أخلاقيات، هي صورة لأخلاق القرآن، وبهذا تصبح التربية قائمة على أخلاق، وتؤدي وظائف أخلاقية، في سبيل تحقيق أهداف خلقية، وهي بذلك تيسر السبل والوسائل النظرية والعملية لتربية الإنسان المسلم لتحقيق أهدافها من التربية الأخلاقية.

أسلوب التربية الأخلاقية في الإسلام

يمكن تلخيصه فيما يأتي:

١. تنمية الوازع الداخلي، أو ما يعبر عنه بالضمير الأخلاقي الذي يتغذّى من إيمان المرء ومعتقداته، والتربية الإسلامية تغذي هذا الوازع إلى أن يزدهر، وتستعين في ذلك بالتربية العقدية الروحية.

٢. التزويد بالمعرفة، وهنا تزود التربية المتعلمين بالأخلاق القرآنية من القرآن الكريم، وذلك عن طريق العلم، والتجربة، حيث عن طريقها يمكن للإنسان أن يميز بين

(١) علي خليل أبو العينين: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ص ١٨٦.

الخير والشر، وتشمل هذه المعرفة، المعرفة بالغاية والوسيلة التي تحقق السلوك الأخلاقي.

٣. تربية الإرادة، وهي تنمي في الإنسان حرية الاختيار السليم، حيث يختار الخير وينفذه، وتؤثر الإرادة في الفكر والعاطفة.

٤. التدريب على تنفيذ الخير، ودعوة الآخرين للمشاركة في عمل الخير، وذلك على أساس الاختيار الحر.

٥. الاعتياد والمران على تنفيذ الخير، بحيث يصبح عمل الخير والالتزام الخلقي والفعل الخلقي عادة راسخة، وسجية نامية في الإنسان[١].

٦. أن تكون التربية الأخلاقية متكاملة لتكامل النظام الأخلاقي القرآني المنبثقة منه، بحيث تلبي الحاجات الإنسانية في مجالاتها المختلفة، ويصبح المتعلم قادراً على ضبط نفسه والسير في حدود هذا الإطار الأخلاقي، وإذا كانت التربية هي الحياة فإنَّ المدرسة يجب أن تنقل الأخلاق إلى داخلها، بمعنى أن التربية الخلقية لا يمكن أن تقتصر على مجرد تعليم الحكمة، بل يجب أن تُتاح للمتعلمين العديد من الفرص لكي يعتادوا المثل الأخلاقية، ولقد أعطى القرآن الكريم مجموعة من

(١) المرجع السابق: ص ١٩٠.

الطرق التي توصلنا إليها، مثل: الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والموعظة الحسنة، والدعوة إلى الفضيلة، والقصة، والقدوة، ولكل واحدة منها دور بالغ في تربية وتنمية الأخلاق[١].

التربية العقلية

لقد اهتمت التربيةُ الإسلاميةُ بالتربيةِ العقلية، كاهتمامها بالتربيةِ الرُّوحية والوجدانية، وأهمُّ الأسس التي تقوم عليها التربية العقلية الحث على العلم والتعلم: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢]، والتواضع في العلم وعدم التعالي، والتجرد من الأهواء والميول الشخصية والتَّعصبِ الذَّميم لمذهبٍ، أو اتجاهٍ مُعينٍ وعدمِ الانسياقِ وراءَ الظُّنونِ والأوهامِ؛ حتى لا ينحرف الباحثُ عن المنهجِ العلميِّ الدقيق والنظرةِ الموضوعيةِ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٣]، والتبين والتثبت والتروي في معرفةِ الحقائقِ العلمية، وفهمِ أسبابها واستخراجِ قوانينها بشتى الوسائلِ من ملاحظةٍ ومشاهدةٍ وتجربة قبل تقريرِ نتائجها، وإعلانِ أحكامِها، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن

(١) المرجع السابق: ص ١٩١.

(٢) العلق: ١- ٥.

(٣) القصص: ٥٠.

تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[٣].

التربية الوجدانية

لقد اهتم الإسلامُ بالانفعالاتِ والعواطف والمشاعر والأحاسيس الإنسانية، حيث يُبنى عليها سلوك الفرد وتطبعُ مزاجه الشخصي بطابعٍ خاص، وتؤثِّرُ في موقفِه واتجاهاتِه في الحياة، وتتأثرُ بها صحته النَّفسية والعقلية والجسدية أبلغَ تأثير في مختلفِ مراحلِ نمُوِّه وعمرِه؛ لذا جاء اهتمامُ الإسلامِ بها بتوجيهها الوجهة الصحيحة وتهذيبها دون كبتِها حتى يكتملَ نضجُها لدى الناشئ في أجواء صحيحة سليمة، بحيث يصبح قادراً على ضبطِ نفسه، والتَّحكُّمِ في نوازعِها وأهوائِها، وإشباعِها بالسُّبلِ المشروعةِ المتاحة، وعدمِ الانسياقِ وراء تيارِها المدمر للفردِ والجماعة بتحقيق التَّوازن النفسي، وذلك بالقدرةِ على التَّكيفِ السَّليم والتَّوافقِ بين دوافعِ الفرد وحاجاتِه، وبين عناصرِ ومكوناتِ البيئةِ الخارجيةِ دينية كانت أم خلقية، أم ثقافية، أم اقتصادية.

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) البقرة: ١١١.

(٣) الإسراء: ٣٦.

التربية البدنية

لقد اهتم الإسلام بصحة الجسد، كما اهتم بصحة العقل والروح والوجدان، فالسنة النبوية اهتمت بالتربية البدنية وأكّدت على أداء بعض التمارين والمهارات والممارسات الرياضية كالمشي وسباق الخيل والرماية والسباحة من ذلك قوله ﷺ: «**حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية، وألا يرزقه إلاَّ طيباً**»[١].

وقد دعت السنة إلى تعلم السباحة والرماية وركوب الخيل، ومن هذا قوله ﷺ: عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ، وهو على المنبر يقول: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إنَّ القوة الرمي، ألا إنَّ القوة الرمي، ألا إنَّ القوة الرمي**»[٢].

التربية الاجتماعية

تعمل التربية على الضبط الاجتماعي، وفكرة الضبط الاجتماعي في الإسلام قائمة على أساس نوعي الضبط الاجتماعي المعروفين لدى علماء الاجتماع:

النوع الأول: ضبط اجتماعي داخلي، يُبيِّنه الإسلام في المسلم، قوامه القيم والأخلاق الإسلامية التي تشكل ضميره، وإيمانه وعقله الذي يهديه إلى معرفة الحلال والحرام.

---

(١) المغني منتخب كنز العمال "رواه الحكيم، وأبو الشيخ في الثواب والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي رافع.

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم (١٩١٧).

النوع الثاني: ضبط خارجي يتمثل في تشريعات الإسلام وعقوباته القانونية، فيما يختص بكل أمور الحياة الاجتماعية المختلفة[١].

مدلولات التربية الاجتماعية في الإسلام

١. التربية الإسلامية تعمل على تنشئة الأفراد اجتماعياً، وتكوينهم تكويناً صالحاً، في سبيل تنمية شخصية الإنسان العابد، وذلك عن طريق تنمية صفاته الفردية، بحيث يعرف حقوقه وواجباته، فلا يطغى بفرديته على المجتمع، ولا يطغى المجتمع عليه، وهي في ذلك لا تصب الأفراد في قوالب جامدة، ثابتة أو محددة، بل إنَّها تتيح لكل فرد الفرصة أن ينمو طبقاً لقدراته الفردية، وهي في ذلك لا تواجه واقعاً أياً كان، لتقره، أو تبحث له عن سند، أو حكم أو برهان، تعلقه عليه كاللافتة المستعارة، وإنَّما هي تواجه المجتمع والواقع، لتزنه بميزان القرآن، فتقر منه ما يوافق هذا الميزان، وتلغي منه ما لا يوافقه، وتنشئ واقعاً غيره طبقاً لقواعد القرآن، وواقعها حينئذ هو الواقع، فالتربية الإسلامية من أهم أهدافها تنشئة الأجيال طبقاً لمعايير المجتمع المسلم، وهي تعطي الأفراد في هذا السبيل اللغة وحسن التصرف في المواقف

(١) علي خليل أبو العينين: مرجع سابق، ص ٢١١، ٢١٢.

الاجتماعية، مع مراعاة إعدادهم للمستقبل القريب والبعيد، مع مرونة لاحتمالات التغير.

٢. وتهتم التربية الاجتماعية الإسلامية بالأسرة اهتماماً بالغاً باعتبارها الوعاء التربوي، ومن ثَمَّ فهي توجه العناية لها، حيث تهتم بإعداد الأفراد ليكونوا آباء وأمهات صالحين، مع الاهتمام بالأم خاصة، إذ هي التي تحسن تربية أطفالها تربية جسدية وخلقية وعقلية ودينية وصحية، ومن ثَمَّ تستطيع تزويد المجتمع بأفراد يستطيع معهم بالتربية أن يجعلهم ملتزمين التزاماً كاملاً تجاهه. وتُعنى بالطفولة عناية فائقة، وتدرب الأطفال على العلاقات الاجتماعية السليمة، مع مراعاة ميولهم وقدراتهم، وتمتدح فيهم الصفات الطيبة، وتنطلق معهم من منطلق حبهم نفسه، وهو حب اللعب، بحيث تنمي فيهم الصفات الاجتماعية المطلوبة[١]. وبالقدر نفسه تهتم التربية الإسلامية بالشباب، باعتبارهم قوة المجتمع، وإن كان القرآن قد امتدح فيهم صفات من قبيل: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[٢]، ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[٣]، فهي تستخدم أدواتها وطرقها، في سبيل تنشئة الأفراد تنشئة اجتماعية

(١) المرجع السابق: ص ٢١٣.

(٢) القصص: ٢٦.

(٣) البقرة: ٢٤٧.

سليمة، ولا غرو فالقرآن يوحي بالاهتمام بتربية الأطفال والشباب على معايير المجتمع وأنظمته، وتنشئتهم عليها، ولنتأمل سورة النور الآيتان ٥٨، ٥٩ لنرى فيهما اهتماماً بالغاً بضرورة تربية الأطفال، وتعويدهم على العادات الاجتماعية. مثل الاستئذان، حيث توحي الآية بتدريب الأطفال عليه في ثلاثة أوقات معينة، وخاصة لمن لم يبلغوا الحلم، أمَّا من بلغوا الحلم، فالاستئذان واجب في كل الأوقات، وهكذا نلمح في هذه الآيات وصية بضرورة تربية الأطفال والشباب اجتماعياً، فالتربية الإسلامية تزود النشء بالمهارات الاجتماعية اللازمة، لكي يعيش في مجتمع مسلم[1].

٣. التشكيل الاقتصادي للإنسان على أساس تنميته إنساناً منتجاً، فالفرد عضو في جماعة، والتربية الإسلامية تعمل على تزويده بمهارة مناسبة يكتسب منها عيشه، بمعنى جعل الفرد عضواً اقتصادياً منتجاً، ومن ثم فهي تدربه على المناشط الاقتصادية المختلفة من إنتاج واستهلاك، وإسهام في الاقتصاد الإسلامي ودفعه، والآيات في ذلك كثيرة، لا تقصر النشاط الإنتاجي على عمل معين، أو مهنة معينة، وإنَّما على المهن على اختلافها، ومعنى هذا بطريق ضمني أنَّ التربية الإسلامية تدرب الأفراد على

(١) علي خليل أبو العينين: مرجع سابق، ص ٢١٣.

امتهان عمل، بحيث يصبحون أفراداً منتجين في المجتمع المسلم. كما يحرص القرآن على تدريب الإنسان على الإنفاق في سبيل الله، وقضاء حوائج هذا الإنسان دون إسراف ولا تقتير، كما يدعو القرآن إلى التسابق في الخيرات، والتربية الإسلامية تدرب أفرادها على تجويد العمل، والتعاون من أجله، واستغلال الذكاء، وتربط التربية القرآنية الأخلاق بالاقتصاد على نحو متفرد، فهي تنشئ الأفراد اقتصاديين على أساس أخلاقي، وليس على أساس الغش أو الاستغلال، ثُمَّ إنَّ التعامل الاقتصادي على أساس الإنسان[1].

٤. والتربية القرآنية تدرب الأفراد على التعامل مع السلطة السياسية القائمة في المجتمع، بحيث يعرف الفرد كيف يبدي رأيه طبقاً لمبدأ الشورى؛ إذ إنَّ التربية في البيت، وفي الفصل الدراسي، وفي المدرسة، وفي المجتمع الخارجي، أساسها الشورى لا تضعف رأياً، ولا تتجاهله، وهي بعد ذلك تنمي لدى المتعلم عادات معينة، مثل تقدير وجهات النظر الأخرى، والتمسك بالحق، حتى أمام الرأي المعارض، واحترام حريات الآخرين، والتعامل السياسي في المجتمع، وهكذا.

---

(١) المرجع السابق: ص ٢١٥.

٥. ولقد نظّمت التربية الإسلامية علاقة الفرد بالمسلمين على أن تكون علاقة أخوة في الله -عزَّ وجل- مبنية على التواد والتعاطف والتراحم والثقة، وهادفة إلى التعاون على البر والتقوى، ومحققة لمبادئ التكافل والتآزر في السَّراء والضَّراء، وحافظة للدماء والأعراض والأموال، ومتجنبة لشتى عوامل الشحناء والبغضاء، والخصام والفرقة، والتقاطع والتدابر، والكراهية والتحاسد، والاحتقار والإذلال، وسوء الظن، والشك والتجسس والبهتان والغش والخيانة[١]. وقد وجهنا القرآن إلى ذلك، فقال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢]، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٣]، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[٤]، وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[٥]، وعن ابن جُريج أنّه سمع أبا الزبير يقول: سمعت جابر يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[٦].

---

(١) د. عبد الحميد الزناتي: مرجع سابق، ص ٧٩٣.

(٢) الحجرات: ١٠.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) المائدة: ٢.

(٥) أخرجه مسلم، حديث رقم (٦٤).

(٦) أخرجه مسلم، حديث رقم (٤١).

٦. التربية الإسلامية نظَّمت علاقة الفرد المسلم بالبشر عامة، ممن لا يشاركونه عقيدته، يجب أن تُبنى على العدل والإنصاف والأمانة في جميع معاملاته معهم، وعلى حفظ العهود والمواثيق ما لم يخونوها، وعلى الرحمة والعطف فيما تستوجبه الاحتياجات الإنسانية كالجوع والعطش والمرض والكوارث، وعلى حفظ أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وعدم الاعتداء عليهم فيها والتعاون معهم في عمارة الأرض، وإصلاحها بما يعود بالفائدة المشتركة على الجميع، وهذا هو ما يأمر به ديننا الحنيف، دين العدل والرحمة والتسامح. على أنَّ علاقة المسلم بغير المسلمين، وإن أفادته بعلمهم وتقدمهم يجب ألاَّ تضر بعقيدته أو تنحرف بخلقه، وإن يحرص على عدم التشبه بهم واتباعهم في خلقهم ومسلكهم في الحياة، وأن يدعوهم إلى اتباع الصراط المستقيم كلما وجد إلى ذلك سبيلاً، معززاً دعوته بالتزامه الديني والخلقي في حياته اليومية، والذي يؤثر فيمن يدعوهم أكثر من تأثير دعوته القولية[1]، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[2]، وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال:

(١) د. عبد الحميد الزناتي: مرجع سابق ص ٧٩٦.

(٢) الممتحنة: ٨.

«**من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وأنّ ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً**»[١]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قيل يا سول الله، ادع على المشركين، قال: «**إني لم أُبعث لعاناً، وإنَّما بُعثتُ رحمة**»[٢].

٧. كما اهتمت التربية الإسلامية الاجتماعية بإعداد الأفراد ليكونوا أفراداً عامليين يسهمون في حضارة العالم، بحيث يرتبط كل منهم ارتباطاً وثيقاً بالإنسانية، حيث يتعاون الجميع على خيرها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٣]، فالتربية الإسلامية تعمل على تنمية الإنسان تنمية شاملة عالمية؛ ليكون الإنسان عالمياً صالحاً لكل مجتمع؛ إذ لديه الأصول العامة، ومعه عقل متفتح على العالم، وخبرات يستغلها في خدمته، وفي طاعة الله، فالإسلام لم يعلمنا الرفض الحضاري، وإنَّما علمنا أن نكون منفتحين على العالم، ولكن بالاختيار والانتقاء، والعزل والفصل، ثمَّ إعادة البناء[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم (٦٩١٤).

(٢) أخرجه مسلم، حديث رقم (٢٥٢).

(٣) الحجرات: ١٣.

(٤) علي خليل أبو العينين: مرجع سابق، ص ٢١٧.

هذه أهم الأسس التربوية التي ينبغي أن نُربي أولادنا عليها لينشؤوا سُلَماء العقيدة والفكر والجسم والحس والوجدان، يقفون على أرض صلبة لا تزعزعهم التيارات، ولا يكونون منقادين لأي كائن من كان، والأسرة هي المسؤولة الأولى عن هذا الإعداد باعتبارها المحضن الأول للإنسان، والسؤال الذي يطرح نفسه:

هل أسرة زواج المسيار قادرة ومؤهلة أن تقوم بدورها في هذه التربية بمفاهيمها ومدلولاتها وأهدافها الإسلامية؟

للأسف الشديد إنَّ أسر الزواج العادي المتعارف عليه الذي يكون فيه الأب ملتزم بأسرته، ومتحمل مسؤوليتي الزوجية والأبوة، ومقيم مع أسرته إقامة دائمة لم تهيئ أولادها وبناتها ليكونوا آباء قادرين على القيام بهذه المسؤولية كما يجب، بمعنى أنَّ كثيراً من الآباء والأمهات إمَّا يكونوا متأثرين بالفكر الغربي، ومن ثم فهم يدينون بالولاء لكل ما هو غربي، وثقافتهم الإسلامية ضحلة وضعيفة ومشوَّهة، وعلى هذا فهم يربون أولادهم طبقاً لثقافتهم، وتوجهاتهم، ومن هنا نرى من أولادنا نسخاً ممسوخة من الغربيين، أما الفريق الآخر ففهمه للإسلام قاصر متطرف، تسيطر عليه الأعراف والعادات والتقاليد، دائرة المحرمات لديه كبيرة، كلمتي "الكفر"، و"الحرام" هي الغالبة في أحكامه، كما نجد هذه الأسر تفتقر إلى الحوار مع أولادها، متبنية ثقافة المنع على أولادها، والسطوة للأب الذي لا يسمح لزوجته ,وأولاده بالنقاش والحوار، كما نجدها تفرض على أبنائها العزلة عن العالم فتحرِّم على بيتها دخول الصحف؛ لأنَّ بها صوراً، والصور حرام، وتُحرِّم

عليهم مشاهدة الفضائيات، فهؤلاء الذين تربوا هذه التربية سيكونون في عزلة عن العالم المحيط بهم، وسيكونون سِرَاع الانقياد لأي دعوة تظهر غيرتها على الإسلام، وحرصها عليه، كما لا ننسى جانباً مهماً وخطيراً، وهو غياب الأبوين عن البيت مدة طويلة، وترك تربية الأولاد لخادمات جاهلات من بيئات ومجتمعات أخرى تسيطر على عقولهن أساطير وخرافات وعادات وتقاليد جاهلية، ومنهن من يكن بوذيات أو مسيحيات، ونستطيع أن نقول: إنَّ من أبناء هذا الجيل تربية "خادمات" فالأم التي تعمل، ويتطلب عملها أن تكون خارج البيت أكثر من ثماني ساعات يومياً، وإن كانت تعمل في قرى نائية، وقد تصل هذه الساعات إلى اثنتي عشرة ساعة، فقوانين العمل وأنظمته لم تُفرق بين رجل وامرأة، ناسين أنَّ المرأة هي أم وزوجة قبل أن تكون موظفة، وعليها مسؤولية أساسية هي مسؤولية التربية والإعداد، بينما الرجل متفرغ لعمله الوظيفي، وعمل المرأة في مجتمعنا أصبح ضرورة اقتصادية، فراتب الزوج لا يكفي لمتطلبات الأسرة، وهناك نساء أصبحن يكرهن أسرهن لهذا السبب، وحتى المرأة المتزوجة من رجل مقتدر مالياً باتت تتمسك بوظيفتها؛ لأنَّها تشعرها بالأمان من غدر زوجها بها، فقد يطلقها فجأة، وقد يتزوج عليها من أخرى، وهنا يجعلني ذلك أن أُطالب بإلحاح بإعادة النظر في قوانين وأنظمة العمل بالنسبة للمرأة الزوجة والأم، بحيث يُراعى فيها مسؤولياتها الأسرية، وذلك بأن تُخفَّض ساعات عملها عن ساعات عمل الرجل،

ومراعاة تعيينها قرب بيتها، وتأمين دور حضانة لأولادها ترعاهم مربيات مسلمات صالحات متعلمات ومؤهلات تربوياً.

أيضاً نجد غياب الأب عن البيت مدة طويلة، وعدم حرصه على التعرف على مشكلات أولاده، والجلوس معهم، والتعرف على مشاكلاتهم واحتياجاتهم ومناقشتهم في مختلف القضايا، والتعرف على أصدقائهم وزملائهم وأسرهم، يجعل الأولاد عرضة لمصادقة قرناء السوء الذين قد يجرونهم إلى هاوية المخدرات أو مستنقع الإرهاب، أو تبني أفكار ومعتقدات إلحادية كعبادة الشيطان، أو إباحية... أو... إلخ.

فكيف إذا كان الأب لا يأتي إلا ساعة من نهار أو ليل كل أسبوع، أو شهر ليقضي وطره، ثم يخرج، وقد لا يأتي، فما حال هؤلاء الأولاد؟

هل سيكونون من مدمني المخدرات أم من اللصوص أم من الإرهابيين الحاقدين على المجتمع الناقمين عليه؟

للأسف الشديد إنَّ زواج المسيار لا يتوافر فيه نظام أسري، وليس فيه كيان أسري البتة، للأسباب الآتية:

١. قيامه على تحقيق هدف واحد فقط لا غير، وهو قضاء وطر الرجل متى شاء بشرط عدم الإنجاب.

٢. وإن كان هناك إنجاب، فأب المسيار لا يكون ملزماً بالنفقة على أولاده من هذا الزواج.

٣. أنَ من أسباب اشتراط الزوج على المرأة أن يكون زواجه بها مسياراً هو أنَّ لها أولاداً من زوج سابق، في الغالب يكون متوفياً، وهو لا يريد أن يتكفل برعايتهم والإنفاق عليهم، أو يكون لديها والدان كبيران في حاجة إلى رعايتها، والزوج لا يريد أن تتولى زوجته رعاية والديها، وإن أرادت فليكن زواجه بها زواج مسيار، وهذا يكشف لنا جانباً مهماً في شخصية الرجل الخليجي الذي يقدم على هذا الزواج، ويقبله على نفسه، وهو الأنانية المفرطة، وانعدام النخوة والرجولة والشهامة، وحب الذات، واعتبار الزوجة خلقت لخدمته وخدمة أهله ومتعته فقط، فهو إن كان له أولاد من زوجة سابقة يلزم زوجته برعايتهم، وإن كانت أمه أو أبوه، أو كلاهما في حاجة إلى رعايته، فهو في أحايين كثيرة يسكنهما في بيته، ويلزم زوجته بخدمتهما، في حين يتنصل هو عن رعاية والدي الزوجة إن كانا في ظروف والديه نفسها، بل لا يريدها أن ترعاهما إلا بشرط أن يكون زواجه بها مسياراً، وهو غير ملزم بنفقتها، وتوفير السكن لها، وغير ملزم بالمبيت معها، ولا يشهر زواجه بها، وقد لا يوثقه، وقد لا يدفع لها مهراً!!!

٤. لا يوجد أب يرعى الأولاد، والرعاية والنفقة، وكل مستلزمات الحياة على الأم، أي أولاد المسيار أيتام برغم

وجود الأب على قيد الحياة، وأوجد أسرة الوالد المنفرد الموجود في الغرب نتيجة العلاقات غير الشرعية!!!

٥. لا توجد صلات وروابط بين الإخوة من زواج المسيار بالإخوة من الزواج العادي؛ لأنّه محرَّم عليهم الاتصال بهم، ولا توجد أيضاً صلات وروابط بين أولاد المسيار وأهل أبيهم.

٦. أولاد المسيار محرومون من حنان ورعاية الأب وحمايته، وتوجيهه، بينما يتمتع بهذه الحقوق إخوتهم من الزوجة المتزوجة زواجاً عادياً.

٧. كل هذا سيؤثر فيهم، وقد ينقمون على الدين الإسلامي الذي باسمه أباح أن يظلم أولاده، كما سينقمون على المجتمع الذي أقر هذا الزواج، وسيكونون ناقمين على والديهم اللذين من أجل إرضاء شهواتهما ظلموهم هذا الظلم الفادح!!!